القســم الأول
في الإطار النظري

الفصل الأول

علم مقارنة الأديان
جذوره وملامح تكوينه

الفصل الأول

علم مقارنة الأديان
جذوره وملامح تكوينه

هل طرح القرآن الكريم تطبيقاً عملياً لمقارنة الأديان؟

في بعض النقاشات التي كانت تجري بين الحين والآخر يرتئي بعض العلماء أن القرآن الكريم حوى من الآيات الكثيرَ مما يرتبط بمقارنة الأديان، صحيح أن القرآن الكريم كان آخر الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء فهو كتاب تشريع وعقيدة ومنهج ديني حياتي وأخروي، لكنه ليس كتاب تاريخ بالمعنى الصرف وليس كتاب علم مقارنة الأديان.

وعندما نتفحص آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأديان نرى أنها تتناول عقائد بعض الشعوب القديمة وحتى المعاصرة لنزول القرآن الكريم.

فهي من ناحية تاريخية تعرفنا بالعقائد والأديان السابقة على الإسلام. ومن ناحية أخرى تطرح بعض المقارنات بين دين ودين أو بين عقيدة وعقيدة.

وفي بعض الآيات يعرفنا القرآن الكريم أن هناك أمماً وشعوباً لكل منها عقيدته وشرعته.

فيقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة 48).

ويقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج 34).

ويقول تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج 67).

فهذه الآيات الثلاث تفسر لنا منهج القرآن الكريم في نظرته لكل الخلق، لكل الأمم والناس.

ولعل المنهج الصحيح في علم مقارنة الأديان يبدأ أولاً بالاعتراف بعقائد شرائع كل البشر بغض النظر على الاختلاف بينها. والقصد من الاختلاف بين البشر في عقائدهم وشرائعهم هو امتحان الله لهم، وتمييزهم عن بعضهم في مدى إيمانهم واقترابهم من شرعة الله.

ونعتقد أن نجاح هذا العلم من بدايته يرتبط بالنظرة الشمولية لكل إنسان على أنه صاحب معتقد. وهذا الاعتراف ليس له علاقة بالتقييم إن كان سلباً أو إيجاباً، أما مسألة التقييم فتأتي لاحقاً على ضوء تكاملها أو عدمه، أو على ضوء المقاييس التي يراها أصحاب العقائد أنفسهم.

وفي آيات أخريات يؤكد القرآن الكريم أن الأمم جميعها كانت في أساس عقائدها موحدة ثم اختلف أفرادها وتفرقت عقائدهم.

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ (مريم 36 ـ 37).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ (الأنبياء 92 ـ 93).

وهذا يدل أن الاختلاف في العقائد نشأ بسبب الانحرافات التي جرت في البشر. فهم أحرار فيما يختارون ولا جبرية إلهية في ذلك.

ويشير القرآن الكريم إلى العقائد الكبرى التي كانت منتشرة حين نزوله على قلب رسول الله ﷺ.

فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة 62).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (المائدة 69).

وهذه التصنيفات لم تتعرض إلى تفاصيل العقائد. إنما أشارت الآيات إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء جميعاً.

وهاتان الآيتان تفتحان أفقاً واسعاً للبحث فيهما من حيث النشأة التاريخية ومن حيث العقائد والتشريعات. وكذلك تفتح أمام العقل باباً لإجراء مقارنة أديان تطبيقية بين العقائد، ومعرفة القواسم المشتركة بينها وكذلك الاختلافات. وتأتي سور قرآنية عديدة لتحدثنا عن تفصيلات عقائدية لأقوام سبقت الإسلام، فتناولت عقائد عاد وثمود والفراعنة وعبدة الأصنام والأوثان. ثم تناولت اليهودية والنصرانية والإسلام.

فماذا قال عن العقائد الوثنية؟

تحدث القرآن الكريم عن قوم النبي إبراهيم عليه السلام وعن عبادتهم فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ (الأنعام 74) وقال أيضاً في ذلك: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام 76 ـ 78).

وهذه الآيات الثلاث المتلاحقة تدلنا على ما وصل إليه التفكير الإنساني من عقائد زمن النبي إبراهيم عليه السلام. فهناك كوكب. وهناك قمر. وهناك شمس. وهذه المعبودات الحسية تشير إلى ذلك العصر الذي انتشرت فيه عبادة الكواكب وما يُرمز لها.

ويقول تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الكهف 15).

فهذه الآية تشير إلى عبادة آلهة متعددة في زمن أهل الكهف وهو الزمن الذي يفصل بين دعوة المسيح عليه السلام وبعثه الرسول محمد ﷺ حسب أغلبية المصادر.

ويقول تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان 3).

فيبين الله سبحانه صفات تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله. فهي لا تخلق شيئاً ولا تستطيع أن تنفع أو تضر ولا تُميت ولا تُحيي ولا تستطيع أن تبعث الموتى.

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ (الأحقاف 27-28).

وهذه الآية أيضاً تشير إلى ما كان من عقيدة أهل الأحقاف الوثنية.

ويقول تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ (الصافات 91 ـ 96).

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح 23)، فهذه الآية تشير بشكل واضح إلى أسماء الآلهة التي كان يعبدها قوم نوح في الزمن الغابر والقديم جداً. ويقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هود 53)، وهذه إشارة إلى عقيدة قوم هود.

وقد وردت آيات أخريات أعادت على أسماعنا ما كانت عليه الأقوام الوثنية في الزمن الغابر. وجاء بعضها محدداً لبعض المعبودات الوثنية بأسمائها التي تدل على زمن بعينه.

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥)﴾ (الصافات 123 ـ 125).

ويقول تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ (النجم 19 ـ 20).

في سورة الصافات إشارة إلى عبادة البعل التي انتشرت بين بني إسرائيل زمن النبي إلياس وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذا الزمن هو الذي جاء بعد داود وسليمان عليهما السلام وارتداد بني إسرائيل إلى عبادة آلهة الكنعانيين.

أما في سورة النجم فهناك إشارة لأسماء الآلهة التي كان يعبدها الجاهليون من قريش وغيرهم قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

وقد جاء القرآن الكريم على كثير من التفصيلات حول العبادة الوثنية، فبيّن كيفية اعتقادهم بها والغاية من هذه العبادة، ومن ثم حرصهم على محاربة كل من يمس هذه الآلهة بسوء.

وقد وضح فلسفتهم أيضاً تجاه التعدد والأحدية.

يقول تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة ص 4 ـ 6).

إن هذه الآيات القرآنية وغيرها من الآيات المماثلة توضح لدارس الأديان الكثير من ملامح عقائد الشعوب التي مرت عبر التاريخ منذ زمن نوح عليه السلام وقد نجد فيها الكثير من المواد التي هي أساس علم مقارنة الأديان في جانبه المتعلق بالعقائد البدائية القديمة.

ومن الملاحظ أن علماء الاجتماع والأنثربولوجيا وخاصة إدوارد تايلور وإميل دور كهايم درسوا عادات الشعوب البدائية في أفريقيا وأستراليا وأولوها الاهتمام الأكبر. ويمكن لنا ونحن نؤصل ونساهم في هذا العلم أن نسلط الأضواء على عقائد الشعوب التي ذكرها القرآن الكريم وكرر الحديث عنها في أكثر من سورة.

وحديث القرآن الكريم عن الأقوام الوثنية السابقة له صلة بالمنطقة التي بُعث فيها الإسلام. ونعتقد أن أقوام نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وكذلك الفراعنة لها صلة بالمنطقة العربية الواسعة.

وعلى الرغم من وجود يهود ونصارى في هذه المنطقة إلا أن عرب الجاهلية كانوا يقولون إن أصنام الكعبة تماثيل قوم صالحين. كانوا يطعمون الطعام ويصلحون بين الخصوم فماتوا فحزن عليهم أبناؤهم وإخوانهم وصنعوا تلك الأصنام على مثالهم وعبدوهم من فرط الحب والذكرى ولكنهم لم يعبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى[1].

وإضافة إلى حديث القرآن المستفيض عن الأقوام الوثنية فقد تناول العقائد السماوية بشكل أوسع، فتناول اليهودية والنصرانية والإسلام، وبين حدود كل عقيدة ومعالمها وبعض تشريعاتها ومسارها عبر التاريخ منذ أن نشأت وإلى وصول الزمن بها إلى عصر رسول الله ﷺ.

ومن خلال الآيات القرآنية الكثيرة نستطيع أن نرى الكثير من تطبيقات تدخل في صلب الأسس الحقيقية لعلم مقارنة الأديان.

فعرّف الإسلام تعريفات شمولية واضحة وقاطعة وبذلك فقد وضع الأسّ الأول لتعريف هذا الدين تعريفاً شمولياً واضحاً.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ (آل عمران 19).

وربط هذا الإسلام بجميع الأنبياء وبخاصة بالنبي إبراهيم عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ (النساء 125).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ﴾ (الأنعام 161).

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (الشورى 13).

وربط الإسلام بالإيمان وبين أركانه وأسسه العقيدية. وأوضح ما للعبادات من شأن في هذا الدين.

---

(1) عباس العقاد. الله. ص 31. كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف مصر 1964.

وعندما تحدث عن الإسلام أوضح أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله لأمة الإسلام، واصطفى النبي محمداً ليبلغ رسالة الله إلى الناس.

وباختصار فإن القرآن الكريم أوضح هذا الدين وكتابه ونبيه وعقيدته وتشريعاته وهو الدين الذي يُقاس عليه في علم مقارنة الأديان وخاصة العقائد السماوية، وحين تحدث عن الدين الذي كلف به موسى عليه السلام، جاء بالمصطلحات والمسميات التي تناسب مع التطور التاريخي لبني إسرائيل.

فهم بنو إسرائيل الذين ارتبط ذكرهم بموسى وداود وعيسى وسليمان عليهم السلام. ثم سمى بعضهم اليهود أو الذين هادوا. ثم أطلق صفة أهل الكتاب عليهم وعلى النصارى، وذلك بسبب إتيان موسى كتاباً وإتيان عيسى كتاباً آخر. ومن خلال مسيرة عقيدتهم بيّن التقلبات التي طرأت عليهم وعلى عباداتهم وعلاقتهم بالأنبياء والكتاب والمعاملات والعبادات والتشريعات من حلال وحرام وما إلى ذلك.

وقد ربط بهم التوراة ككتاب أنزل على الأنبياء، ثم بين تحريفهم له وأسباب هذا التحريف وغاياته، وأوضح معتقداتهم المختلطة بالأساطير والوثنية والسحر وأوضح أيضاً أن لهم قبلة غير قبلة المسلمين، وأنهم لا يعترفون إلا بما شُرع لهم.

لكن القرآن الكريم أوضح أن من أهل الكتاب أناس مؤمنون صالحون، وقد بدت الفروق الإيمانية بينهم وبين الذين كفروا.

فقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران 113-114).

ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف 159).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة 24).

وتحدث القرآن الكريم عن كتاب موسى عليه السلام باعتباره النبيّ الأول في بني إسرائيل وأشار لما فيه من رحمة وهدى ونور لبني إسرائيل. ومن المعروف أن علم مقارنة الأديان يستند في كثير من جوانبه على تلك الكتب المقدسة التي أنزلت على الأنبياء والكتب التي يقول أصحابها إنها الأقدم من بين كتب العقائد والديانات كالهنود والإيرانيين القدماء.

والملفت للنظر أن القرآن الكريم حين تناول بني إسرائيل أعطى ملامح واضحة وقريبة من التكامل من حيث التاريخ بحيث يفيد ذلك في علم تاريخ الأديان، وفي نفس الوقت تحدث عن عقيدتهم وتشريعاتهم بحيث يفيد ذلك في علم مقارنة الأديان.

تحدث عن خروجهم بقيادة موسى عليه السلام من مصر إلى سيناء وما جرى معهم من أول رحلتهم إلى انقطاع الحديث عن موسى عليه السلام - كعبادتهم للعجل وارتدادهم، ثم معاندتهم وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء وتحريفهم لكلام الله وأخذ الميثاق عليهم وإلقاء العداوة بينهم، وشدة حرصهم على الحياة، وعداوتهم لله والملائكة والمؤمنين وغرورهم وأمانيّهم وعدم رضاهم عمّن لم يتبع ملّتهم وأقوالهم وجرأتهم على الله والأنبياء. ثم تناول ما حُرم عليهم وقضاء الله إليهم أنهم سيفسدون مرتين. وتحدث عن أصحاب السبت منهم. وبذلك تتكامل صورة العقيدة اليهودية من خلال التاريخ والتشريع والعقيدة ذاتها بحيث تصبح مادة وافرة لتطبيق علم مقارنة الأديان.

وتناول القرآن الكريم النصرانية فتناول الشخصيات المرتبطة بحياة المسيح عليه السلام كالنبي زكريا والنبي يحيى، وأمه مريم وأم أمه امرأة عمران وكذلك تناول الحواريين، ثم تناول بني إسرائيل الذين رفضوه ورفضوا عقيدته ولعل أهم ما تناوله القرآن الكريم عن النصرانية، قضية ادعائهم بألوهية المسيح وصلبه، وهذه أغنى مادة للمقارنة بين موقف الإسلام والمسيحية خاصة مسألة الألوهية.

ونلاحظ أيضاً شيئاً من التسلسل التاريخي لما يرتبط بمريم وولادتها للمسيح وما جرى من أحداث لها وله.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة 30).

وهذه من الآيات التي تشير إلى الذين كفروا قبل النصرانية، قالوا بأن بوذا ابن الله. وكذلك كثير من الأقوام كاليونان والرومان نسبوا إلى الله أولاداً وبناتاً. فنرى في ذلك أيضاً مادة خصبة للمقارنة بين المسيحية وغيرها من العقائد التي قالت بذلك.

غير أن القرآن كما أشار إلى مؤمنين من اليهود كذلك أشار إلى مؤمنين من النصارى، والإيمان هنا علامة فارقة بين طرفين من أصحاب عقيدة واحدة، فيقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد 27).

وتناول القرآن الكريم بالمقارنة بين المؤمن والكافر. وأوضح مقياس كل منهما وكذلك جاءت فيه آيات بينات تناولت مسألة الروح، والموت، واليوم الآخر وتناول عدداً كبيراً من الأنبياء ومناهجهم الدينية الدعوية وتناول الجنة والنار.

وفي التشريعات تناول الحرام والحلال، في المأكل والمشرب والنكاح والزنى والربا والغلو في الدين والبغي والظلم ووأد البنات وقتل الأولاد والقتل ظلماً وتحدث عن الكفارات والرضاع وملحقات أخرى بزوجة الميت وكذلك السرقة وتعدد الزوجات والميراث والصيد، والكثير من القضايا التشريعية.

ونستخلص من ذلك أن القرآن الكريم بهذا المنهج التكاملي الشمولي منحنا عدة مفاتيح للدخول إلى علم مقارنة الأديان، ونستطيع أن نجمل ذلك في ما يلي:

1 ـ تسليط الضوء على عقائد الوثنيين.

2 ـ تسليط الضوء على الأمم التي أنزل الله إليها كتاباً، الإسلام، اليهودية، النصرانية.

3 ـ تسليط الضوء على الكتب السماوية، القرآن، التوراة، الإنجيل، الزبور.

4 ـ تسليط الضوء على تشريعات وتفاصيل في عقيدة كل أمة.

5 ـ تسليط الضوء على الواقعة التاريخية المرتبطة بالعقيدة.

6 ـ تسليط الضوء على عدد كبير من الأنبياء عبر التاريخ.

7 ـ تسليط الضوء على مقاييس الكفر والإيمان.

8 ـ تسليط الضوء على مفاهيم، الألوهية، النبوة، الجن والإنس وعباداتهم الموت واليوم الآخر، الملائكة وما وراء الطبيعة بشكل عام.

فهذه المواضيع بشكل عام هي موضوعات مقارنة الأديان التي يمكن التأصيل لها.

مساهمات علماء العرب والمسلمين في التأصيل لعلم مقارنة الأديان

ظهرت أولى البوادر لبعض الآراء حول الأديان في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر ولم يسبق ذلك أن طرح العلماء الغربيون مثل هذه الآراء.

ولكن للإنصاف نقول: إن مقارنات خاصة بالمسيحية الغربية ظهرت منذ القرن الثالث والرابع الميلاديين عندما ظهرت بوادر الانقسام بين المسيحيين أنفسهم حول طبيعة المسيح والروح القدس. وعلى إثر ذلك جرت نقاشات طويلة حول ذلك أدت بالتالي من حيث لا يشعر المتناقشون إلى مقارنة داخلية بين الآراء المختلفة حول طبيعة المسيح.

غير أن ذلك لا يعد من ضمن مقارنة الأديان لأنه انغلق حول مسألة مسيحية داخلية لم تتعدها إلى عقائد وديانات أخرى.

ويرى بعض الباحثين أن علم مقارنة الأديان علم جديد لم يبلغ أقصى عمر له المئة والخمسين سنة، ويرون أن العلماء الغربيين هم من نظروا لهذا العلم وأسسوا له ويُرجع بعضهم بعض جذور هذا العلم إلى العالم الألماني الشهير ماكس ميللر سنة 1900م. على أية حال، فإن السبق التاريخي يحتم علينا أن ندرس ماذا نظر له علماء الغرب بعد أن نلقي الأضواء على علماء العرب والمسلمين الذين أسهموا بشكل كبير في تأصيل هذا العلم دون أن يكون في أهدافهم اختراع علم اسمه علم مقارنة

الأديان، لكن ما فعلوه في كتبهم وطرح أفكارهم جاء على شكل تطبيقات واضحة بين الأديان بكل جوانبها.

والواقع (فإن درس الملل والأديان والنحل والمذاهب دراسة تاريخية وتحليلية مقارنة لهو أمر من صميم الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي، بل إننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن الأبوة الشرعية لهذا الحقل العلمي تكمن في هذه الثقافة الإسلامية وتراثها الخالد الثرّ العظيم. ولا ريب عندنا أنه كان لتوجيهات القرآن الكريم وهدايته أبلغ الأثر وأعمقه في نشأة هذا الفرع العلمي ووضع أصوله ومنهج بحثه وقواعد درسه)[1].

وعندما نعود إلى تاريخ الدولة العباسية نرى أن مناظرات عقائدية كانت تجري بين الحين والآخر بين كبار علماء المسيحيين والمسلمين واليهود وغيرهم. وقد كان لبعض الخلفاء كالرشيد والمأمون دور في تشجيع هذه المناظرات. وبحق تعتبر هذه المناظرات إحدى ملامح مقارنة الأديان.

ومما يلاحظ أن ذلك بدأ بشكل فردي ثم توسع بحيث نراه مرافقاً للحركة الفكرية والدينية التي ظهرت في عصر الخليفة العباسي المأمون.

ومما يذكر في هذا الحوارات التي كانت تجري بين هارون الرشيد وطبيبه المسيحي، ويُذكر أيضاً أن المامون كان قد جمع بين كلثوم بن عمرو العتابي المعتزلي وابن فروة النصراني فقال لهما: تكلما وأوجزا فقال العتابي لابن فروة: ما تقول في عيسى المسيح قال ابن فروة: أقول إنه من الله قال العتابي: صدقت ولكنّ (مِن) تقع على أربع جهات لا خامس لها.

ومن كالبعض من الكل على سبيل التجزيء، أو كالولد من الوالد على سبيل التناسل أو كالخل من الخمر على سبيل التحول. أو كالصنعة من الصانع على سبيل الخلق من الخالق، أم عندك شيء تذكره غير ذلك.

---

(1) د. محمد عبدالله الشرقاوي. مقارنة الأديان بحوث ودراسات ص 5 دار الهداية القاهرة ط 1 1986.

فقال ابن فروة لابد أن يكون هذه الوجوه. فما أنت تجيبني إن تقلدتُ مقالة منها؟ قال العتابي: على سبيل التجزي كفرت. وإن قلت على سبيل التناسل كفرت وإن قلت على سبيل التحول كفرت وإن قلت على سبيل الفعل كالصنعة من الصانع والمخلوق من الخالق فقد أصبت. فقال ابن فروة فما تركت لي قولاً أقوله وانقطع[1].

وجرت حوارات عديدة بين علماء مسلمين ونصارى كما ذكرت الكتب العديدة كالحوار بين ابن الطلاع ونصراني من قرطبة. وحوارات المسعودي مع أبي زكريا النصراني وبين ابن رشيق القيرواني وقسيس من مراكش، وحوار بين الفخر الرازي وقسيس من خوارزم[2].

والواقع أن كثيراً ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة، يهودية ونصرانية ومانوية وزرداشتية وبراهمة وصابئة ودهريين الخ، وكانوا قد نشأوا على تعاليم هذه الديانات وشبوا عليها، وكان ممن أسلم علماء في هذه الديانات فلما اطمأنوا وهدأت نفوسهم واستقرت على الدين الجديد وهو الإسلام أخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم ويثيرون مسائل من مسائله ويلبسونها لباس الإسلام، وهذا ما يعلل ما نرى في كتب الفرق من أقوال بعيدة كل البعد عن الإسلام. فنرى أحمد بن حائط يقول في التناسخ شبه ما يقول البراهمة ويقول في المسيح قولاً يشبه قول النصارى[3].

وأصبحت البلاد الإسلامية ساحة تعرض فيها كل الآراء وكل الديانات ويتجادل فيها. ولا شك أن الجدل يستدعي النظر والتفكير ويثير مسائل تستدعي التأمل، وتحمل كل فريق على الأخذ بما صح عنده من قول مخالِفِه.

وكانت بعض الأديان وخاصة اليهودية والنصرانية قد تسلحت بالفلسفة اليونانية، ففيلون اليهودي 25 ق م 500 ب م كان من أوائل من فلسف اليهودية

(1) عيون المناظرات ص 213.

(2) د. بسام العجك، الحوار الإسلامي المسيحي.

(3) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام جـ 3 ص 7.

بالإسكندرية وكليمان الإسكندري ولد نحو سنة 150م وأوريجين سنة 185 ـ 254م من أوائل من مزجوا النصرانية بالأفلاطونية الحديثة وتبعهم كثير من النصارى النساطرة. وقد أدى هذا إلى أن يلجأ المعتزلة إلى مثل هذا السلاح الذي لجأ إليه خصومهم ومن هذا الاحتكاك بين المعتزلة وأمثالهم وبين الملل الأخرى نشأت بين المسلمين أقوال مختلفة. وقد اضطرهم ذلك إلى أن يقرؤوا الفلسفة اليونانية وينتفعوا بالمنطق واللاهوت اليونانيين. فنرى النظام يقرأ أرسطو ويرد عليه والعلاف كذلك)[1].

والواقع أن العصر الذهبي للمناظرات بين أصحاب العقائد والأديان بلغ ذروته في عصر المأمون، وتتيح لنا المدونات عن هذه المناظرات مادة غنية في علم مقارنة الأديان بينما كانت تعيش أوروبا في عصر أدنى بكثير مما نراه في العصر العباسي من حيث اهتمامها أو اطلاعها على المناظرات الدينية بين أصحاب العقائد.

وبعد مرحلة المناظرات الفردية التي شهدها العصر العباسي الذهبي تدخل مرحلة جديدة تستمر طويلاً وتظهر فيها كتب ومصنفات مخصصة لدراسة العقائد والأديان فيبدأها ابن حزم الأندلسي الذي ولد في قرطبة سنة 384هـ ـ 994م.

ومنذ 1030م شرع ابن حزم في وضع مؤلفه الضخم الفصل في الملل والأهواء والنحل وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الفكر العالمي، عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية والديانتين اليهودية والنصرانية[2]. وقد توفي سنة 456هـ.

وبعد حوالي 90 عاماً ظهر كتاب الشهرستاني الملل والنحل جمع فيه صاحبه آراء ومذاهب مئات من الملل والعقائد والمذاهب الدينية. وكان نافذة مشرعة على هذه العقائد وتعاليمها وأفكارها العقائدية وقد توفي الشهرستاني في سنة 548هـ.

ثم ظهر كتاب الفرق بين الفرق للخطيب البغدادي وهو يعادل في بحثه ما قدمه الشهرستاني.

---

(1) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام جـ 3 ص 8.

(2) مقدمة كتاب الفصل لابن حزم ص 4.

وفي نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري قدم الشيخ ابن القيم الجوزية كتابه المهم هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى واعتمد فيه على المقارنة بين أقوال أصحاب العقيدتين وبين قول الله سبحانه في مسائل عقيدية وتشريعية عديدة. وفي القرن الثالث عشر هـ ظهر كتاب غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود للحبر اليهودي الذي أسلم السموأل بن يحيى المغربي وفيه ردود صارخة خاصة بأصحاب العقيدة اليهودية. ومن أهم وأخطر ما ظهر من كتب في ذلك كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي الذي ظهر تقريباً بعد عام 1270 هـ وهو من أحدث ما كتب في مقارنة الأديان من قبل عالم مسلم متضلع في المقارنات.

أما في العصر الحديث فكان أبرز من أجرى المقارنات العقائدية بين الإسلام من جهة واليهودية والنصرانية من جهة أخرى هو الشيخ أحمد ديدات هندي الأصل ومن جنوب أفريقيا، وقد أثارت مناقشاته مع القس البروتستانتي سويجرت صدى عالمياً لا سيما وأنها نقلت إلى أشرطة الفيديو والتلفاز في كافة أرجاء المعمورة.

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا عدداً كبيراً من الباحثين العرب والمسلمين تناولوا بالدراسة كتاب التوراة وكذلك الأناجيل المعتمدة من قبل الكنيسة الكاثوليكية وبعض الكنائس الأخرى. وكانت جل دراساتهم تطبيقية ولم ندرك أي كتاب ينظّر لعلم مقارنة الأديان.

ومن الكتّاب الذين تناولوا الإسلام واليهودية والنصرانية وأديان الهند الكبرى الدكتور أحمد شلبي وأفرد لكل عقيدة كتاباً معتبراً ذلك يدخل في علم مقارنة الأديان. والملاحظ عليه أن ما كتبه هو أقرب إلى تاريخ الأديان من علم مقارنة الأديان.

ومن الذين تصدوا لدراسة العهد القديم بشكل واسع وجدي الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا وله في ذلك مجموعة من الكتب أهمها نقد التوراة أسفار موسى الخمسة.

ومن الكتاب الذين تناولوا بالدراسات والبحوث موضوعات تتعلق بالعهد القديم الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي. وقد أصدر مجموعة من الكتب التي تتناول

ذلك بالنقد والدراسة كان منها الكتاب الأول تحت عنوان في مقارنة الأديان بحوث ودراسات. وقد درس فيه تعريفاً بأسفار العهدين القديم والجديد. ومخطوطات العهدين والنقد العلمي لسفر العهد القديم والأناجيل والرسائل، ومكانة الأنبياء في التوراة والقرآن الكريم وملامح الشخصية الإسرائيلية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وتناول الدكتور صبري طعيمة في عدد من الكتب التراث الإسرائيلي، وكان من أهمها، كتابه الضخم التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه وقد صدر في عام 1979 في بيروت.

وتناول الشيخ محمد علي برو العاملي الكتاب المقدس في كتابه المعنون الكتاب المقدس في الميزان.

ومن البحوث التي تناولت بعض المقارنات بين المسيحية والإسلام كتاب القرآن والمسيحية في الميزان لأحمد عمران وفيه يرد على الأستاذ الحداد الذي ألف موسوعة فكرية تتصل بالقرآن والإسلام وكان أهمها كتابه القرآن والمسيحية الذي صدر عام 1995.

ومن نفس الكتب ظهر كتاب الإسلام والمسيحية في الميزان لشريف محمد هاشم الذي صدر في لبنان عام 1988 وقد ناقش هذا الكتاب (كتاب قس ونبي) تأليف الحريري وهناك كتب عديدة تناولت العهد القديم والعهد الجديد بالدراسة الجادة، ويصعب علينا ذكرها جميعها.

وبعد قراءة هذه الكتب والاطلاع على مناهجها والاستفادة مما وقع فيه مؤلفوها من أخطاء تطرقتُ إلى دراسات مقارنة بين القرآن والتوراة واعتمدت منهجاً خاصاً وهو مقارنة النص بالنص خاصة فيما يتعلق بالأنبياء وبعض الأحداث التاريخية الواردة في الكتابين وكذلك تطرقت إلى العقيدة النصرانية كما وردت في القرآن الكريم وكما وردت في الأناجيل واعتمدت نفس المنهج، أي مقارنة النص بالنص. وقد وجدت أن المنهج التطبيقي في علم مقارنة الأديان

يلقى نجاحاً جيداً في أوساط القراء إذا اعتمد مقارنة النص بالنص، وتناول المفاهيم الكبرى من خلاله كمفهوم الألوهية والنبوة والجن والملائكة والموت ويوم البعث. ثم تناول العبادات والتشريعات بالمقارنة وكل ذلك يعتمد على أسلوب نقدي يستند إلى المعالجة التاريخية والنقدية ومستعيناً بما قدمته العلوم الأخرى كعلم التاريخ وعلم الآثار، وعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم.

إضاءات حول جهود علماء الغرب في الأديان ومقارنتها

ظهرت بحوثٌ في الأديان عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين الغربيين قبل أن يظهر النظر في العقائد والأديان الكبرى. ولم يكن وارداً في تفكيرهم التأسيس لعلم مقارنة الأديان.

وقد أسفرت المحاولات الأولى لدراسة الأديان عن كثير من الضلالات والأساطير التي آمن بها الإنسان الأول، ولا تزال لها بقية شائعة بين القبائل البدائية أو بين أمم الحضارة العريقة[1].

وقد اتفق الأوائل من علماء الغرب المهتمين بأصول الديانات على تأصل العقيدة الدينية في طبائع بني الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ، ولكنهم لم يتفقوا على أصل العقيدة أو أصل الباعث لها ولابد لها من باعث.

وقد ارتأى بعض علماء الأساطير من الغربيين أن الأساطير هي أصل الدين بين الحجج وهو رأي لا يرفض كله ولا يقبل كله.

ومن أبرز العلماء في هذا المجال العالم اللغوي ماكس موللر والذي يرى أن بعض الأساطير وجدت وكان سببها عجز اللغة الإنسانية في نشأتها الأولى.

ومن هؤلاء تايلور الذي قال إن ملكة الاستحياء هي أصل الاعتقاد، ويعتقد تايلور أن الإنسان الأول كان كالطفل في تخيله للأشياء وتمثله لها في صور الأحياء

(1) عباس العقاد ـ الله في عقائد الشعوب ص 13.

ويرى سبنسر أن الإنسان الأول كان يؤمن بحياة الأرباب لأن عبادة الأسلاف هي أقدم العبادات على حد قوله.

وقد رأى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن السحر له العلاقة الكبرى في عبادة الأرواح. وتعليل ذلك أن السحر لا يخلق الآلهة وإنما يخلقه السحرة والكهان الذين يخدمون تلك الآلهة ويزعمون أنهم على مقربة منها وعلى علم بما يغضبها ويرضيها.

والأكثرون من ناقدي الأديان يعللون العقيدة الدينية بضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه فيه من القوى الطبيعية والأحياء، فلا غنى له عن سند يبتدعه ابتداعاً ليستشعر الطمأنينة بالتعويل عليه والتوجه إليه بالصلوات في شدته وبلواه[1].

ويستطرد العالم ميللر في طرح آرائه الممهِّدة لعلم مقارنة الأديان حين يشرح معاني الأساطير وعلاقتها بالعقائد والعبادات، فهو يرى أن البصيرة هبة عريقة في الإنسان وإننا مهما نرجع بخطوات الإنسان إلى الوراء فلن يفوتنا أن نتبين أن منحة العقل السليم المستفيق كانت من خصائصه منذ أوائل عهده وأن القول بإنسانية متسلسلة على التدريج من أعماق البهيمية إنما هو قول لن يقول عليه دليل.

ولكثرة ما تعمق ميللر في اشتقاق اللغات ومقارناتها فقد دعا إلى إنشاء كرسي لدرس الديانات المقارنة. ويرى بعض الباحثين أن الفضل في نشأة علم مقارنة الأديان يعود إلى العالم الألماني ماكس ميللر.

وعلى ضوء ما طرحه ميللر فقد أنشئت في لندن كلية اللاهوت التي قامت على دراسة الأديان القديمة والحديثة ولم تقتصر على درس الكتاب المقدس للديانتين اليهودية والمسيحية.

ويرى الكثير من الدارسين الغربيين أن القفزة النوعية في علم مقارنة الأديان جاءت على يد باحث يهودي يدعى أبراهام جايجر. حيث ألف أكثر من كتاب

---

(1) عباس العقاد ـ الله في عقائد الشعوب ص 18.

ليقارن بين التوراة وبين الإسلام، وقد أصدر كتاباً تحت عنوان ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟ وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام 1902 في مدينة لايبزغ، ولم يكتف جايجر بضرب المثل بين الإسلام واليهودية بل قارن وهو يضع عقيدته التوراتية نصب عينيه لكن الملفت للنظر أنه في مقدمة كتابه وضع منهجاً للدراسة جاء فيه، أن المتأخر يأخذ من المتقدم، ولا تجوز المقارنة إلا بين موضوعين متجانسين من زمنين وثقافتين مختلفتين، ولابد من توافر عنصرين أو أكثر للمقارنة.

وقد انصب جهد جايجر على قصص القرآن الكريم وعلى التشريع وقارنها بما ورد من قصص وتشريعات في التوراة، وخلص إلى أن القرآن الكريم ليس إلا نسخة مصغرة ومهذبة من التوراة.

وممن ساهم بشكل واضح في تقوية هذا المنهج الباحث سباير وخاصة في كتابه المسمى القصص الكتابي في القرآن وبلغت صفحاته ألف صفحة بدأت بالتكوين وقصة آدم وحواء وقارن ذلك بما جاء في القرآن، مدعياً أن القرآن الكريم استفاد من التوراة.

ومن أبرز الباحثين في مقارنة الأديان الدكتور موريس بوكاي الذي ألف كتاباً مهماً عنونه بـ (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، وقد أجرى فيه مقارنات واسعة حول الظاهرات الكونية والبشرية وغيرها، وقد طبع الكتاب بالعربية أكثر من مرة في مصر وليبيا.

وقد اتخذ عدد من الباحثين والمفكرين الغربيين منحىً نقدياً لاذعاً لكتاب التوراة وكذلك الإنجيل. لكن النقد تعرض لمقارنات بين اليهودية والنصرانية وغيرهما من الديانات السابقة أو المعاصرة، ومن أهم من نحى هذا المنحى الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا، وكذلك هورن وكريسياخ وآدم كلارك، وريتشارد سيمون وجاك أستروك.

وقد استفادت حركة نقد أسفار الكتاب المقدس في الغرب من التراث الإسلامي الذي تعرفت عليه بطرق متعددة فائدة غير منكورة.

وإذا نظرنا اليوم إلى مساحة ما قدمه وما يقدمه الباحثون في دراسة العهد القديم التوراة والعهد الجديد الإنجيل، نرى أن مئات الكتب قد صدرت وانتشرت على مساحة واسعة من العالم، ويُلاحظ أن الباحثين العرب والمسلمين التفتوا بشكل واسع لمثل هذه الدراسات خاصة بعد ازدياد ملامح الصراع مع الوجود الصهيوني في فلسطين، وانحياز أميركا إليه، إضافة لبروز التيارات الأصولية المسيحية واليهودية في الولايات المتحدة وبعض الدول الأخرى.

ويبدو أن الباحثين الغربيين تراجعوا عن مثل هذه البحوث بسبب الانحياز الأعمى من قبل السياسيين الغربيين إلى الصف المعادي للإسلام والذي يتمثل بشن أكبر حملة صليبية صهيونية على الإسلام والمسلمين.

وفي ظل شعار اللاسامية صار من المحظور على أي باحث أن ينتقد اليهودية والتوراة أو ينتقد التراث الإسرائيلي والمسيحي. وقد رأينا مصير عدد من الباحثين والمفكرين الذين انتقدوا الصهيونية واليهودية أمثال روجيه غارودي والأب بيير وغيرهما.

ومن الواضح أن موجة التعصب البروتستانتي التي اجتاحت أميركا وأكثر دول الغرب دفعت الباحثين الغربيين بالابتعاد عن نقد كل ما يرتبط باليهود والصهيونية وقد افتقدت أوروبا وأميركا لأي أساس لعلم مقارنة الأديان. وصبت الجهود بابتداع كل ما يمس الإسلام بسوء ضمن حملة صليبية صهيونية واضحة.